ظاهرة الادب الإسلامي
قراءة نقدية

المدرس المساعد
رائد فؤاد طالب الرديني
جامعة البصرة – كلية الاداب

أثار مصطلح الادب الإسلامي _ وما يزال _ إشكالية في الوسط الأدبي ، تمثلت بصورة خاصة في إضافة مفردة " الإسلامي" إلى الادب ، وهذا المفهوم أدى إلى إبراز إشكالات وتساؤلات عدة ، عبّر بعض النقاد والدارسين من خلالها عن رفضهم وعدم قبولهم هذا المصطلح الذي شكل عندهم صدمة أو خرقاً لما هو معروف في المنظومة الثقافية من أن الادب في مفهومه الواسع لا يرتبط بدين أو أيديولوجية معينة ، بل هو نتاج إنساني عام ؛ وقبل الخوض في الاشكالات والتساؤلات التي طرحت ازاء هذا المصطلح وما نتج من ردود وانتقادات او قبول ومناقشات ، نرى ان نمهد لمصطلح " الادب الإسلامي " نشأته وتكوينه .

*** الادب الإسلامي .. النشأة والتكوين:**

برز مصطلح " الادب الإسلامي " في بداية النصف الثاني من القرن العشرين نتيجة طروحات بعض المفكرين الإسلاميين المعاصرين ، الذين رأوا انه لابد من وجود أدب يعكس الفكرة الإسلامية ، وقد تجلى ذلك تحديداً في كتابات الأديب الناقد والمفكر الإسلامي سيد قطب ، إذ شرع في بداية النصف الثاني من القرن الماضي يكتب مجموعة مقالات في الصحف المصرية تحت عنوان " منهج للأدب " ، محاولاً من خلال هذا ان يؤصل مفهوماً إسلاميا للأدب ، ثم طرح الفكرة فاتحاً الباب لمناقشتها من قبل الأدباء والنقاد ، طالباً تقديم النتاج الأدبي الذي يمثل هذا التصور الإسلامي للأدب . (١)

وقد استمد سيد قطب فكرته هذه مما كتبه في مجال الفكر الإسلامي ، إذ أكد أن الإسلام له تصور شامل ومتكامل لكل مناحي الحياة ، ومن ثم فان الأديب المسلم حينما يعبر عن قيم الوجود فان تعبيره يكون عاكساً لتصورات الإسلام التي هي تصوراته ، ((فالإسلام جاء ليغير التصور ألاعتقادي ، ومن ثمّ يغير الواقع الحياتي المعاش ويبني في الوقت نفسه عقيدة وأمة ، وينشئ منهجاً خاصاً به ، ليس منهج مرحلة ، ولا منهج بيئة ، ولا منهج ظرف خاص ، إنما هو منهج أصيل ، لان الدين الإسلامي ليس مجرد(نظرية) يتعامل مع (الفروض) إنما هو (منهج) يتعامل مع الواقع)) . (٢)

وإذا كان الادب تعبيراً موحياً عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان ، تنبثق عن تصور معين للحياة ، هذه القيم تختلف من نفس إلى نفس ومن بيئة إلى بيئة ومن عصر إلى عصر ، وحيث أن الإسلام تصور معين للحياة فمن الطبيعي أن يكون التعبير عن هذه القيم أو عن وقعها في نفس الفنان ذا لون خاص وانه من العبث محاولة تجريد الادب أو الفن من القيم التي يحاول التعبير عنها . (٣)

وقد نظر سيد قطب إلى الادب الإسلامي من زاويتين :

الأولى : ما يحمله الأديب من مرجعية فكرية وبناء فلسفي ، لذا عرف الادب الإسلامي بأنه ((التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية)) (٤).

أما الزاوية الثانية فقد نظر فيها إلى ما يحمله الادب من قيم تلتقي مع التصور الإسلامي أو يقترب منه إذ أكد ((أن الإسلام فكرة ، فهو ليس ملك احد من البشر على الإطلاق ، ولا يمكن لأحد أو جماعة أو شعب إن ينسبه إليه أو يحتكره له ، فكون الإسلام ديناً جعل منه ملك الإنسانية ، فكل من يكتب أدبا في إطار هذه الفكرة [يعدّ] أدبه إسلاميا ، حتى لو لم يكن مسلماً ، على أساس أن هذه (الفكرة) تتطلب (قيماً) معينة هي التي تحكم بالموازين التي تجعل من هذا الادب إسلاميا أو لا)) . (٥)

وفي عام ١٩٦١م اخرج الأستاذ محمد قطب كتابه " منهج الفن الإسلامي " ، استجابة لدعوة شقيقه " سيد قطب " ، إذ كانت نظرته متشابهة ومتقاربة إلى حدٍ ما من رؤية شقيقه ، إذ حاول أن يقدم لنا مفهوماً إسلاميا منفتحاً ومتسعاً للفن والأدب بصورة خاصة ، معرّفاً الادب الإسلامي بأنه ((التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام لهذا الوجود)) . (٦) ، معتمداً في تطبيقاته على نصوص من الادب

العربي والأدب الغربي ، ولأنها نصوص متسقة مع المفهوم الواسع لمصطلح " الفن والأدب الإسلامي " فانه جعلها نصوصاً داخلة في دائرة الادب الإسلامي ، موكداً أن ((الفن الإسلامي ليس وقفاً على المسلمين وحدهم من الفنانين)) (٧) .

وقد عُد كتاب " منهج الفن الإسلامي " أول كتاب فتح مجال الدراسات في هذا الميدان ، تلاه من بعده الأديب الروائي الدكتور نجيب الكيلاني ، فقدم في عام ١٩٦٣م كتابه " الإسلامية والمذاهب الأدبية " (٨) ، متجهاً بدراسته وجهة أدبية جمعت بين التنظير والتطبيق .

ثم جاء الدكتور عماد الدين خليل ــ من العراق ــ فخطا خطوة رائدة متقدمة ، فاصدر كتابه " في النقد الإسلامي المعاصر "(٩) عام ١٩٧٢م ، والكتاب عبارة عن مجموعة بحوث ومقالات نقدية للأعمال الأدبية ــ عربية وغربية ــ من وجهة نظر إسلامية ، نشر بعضها في أوقات متفاوتة في عدة صحف ومجلات ، منها مجلة " حضارة الإسلام " الدمشقية ، ومجلة " الأقلام " العراقية ، ومجلة " المثقف " البغدادية ، كما اصدر في سنة ١٩٨١م دراسات مماثلة وموسعة بأسم " محاولات جديدة في النقد الاسلامي " . (١٠)

بعد هذا الانفتاح لفكرة " الادب الاسلامي " ، دعا بعض المفكرين الاسلاميين والادباء ذوي التوجه الاسلامي إلى انعقاد ندوات ومؤتمرات لمناقشة هذه الفكرة ، وكان أولى هذه الندوات هي " الندوة العالمية للادب الاسلامي " بمبادرة من المفكر الاسلامي الهندي الشيخ " أبي الحسن علي الحسني الندوي " ، وقد انعقدت الندوة في دار العلوم في " لكنهو " بالهند ، في ابريل عام ١٩٨١م ، وقد شاركت فيها بعض الجامعات والمراكز العلمية والادبية في العالم العربي والاسلامي ، تلا ذلك الندوة التي عقدتها الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية في أيار ١٩٨٢م ، وقد شارك فيها عدد كبير من الاكاديمين والمهتمين بالادب الإسلامي ، طرحت خلالها بحوث ودراسات كانت تأسيسية لمصطلح " الادب الاسلامي " ، ثم تلا هاتين الندوتين ندوة ثالثة عقدت في جامعة الإمام محمد بن سعود في المملكة العربية السعودية في عام ١٩٨٤م .(١١)

وقد نتج عن هذه الندوات والمؤتمرات إعلان قيام " رابطة الادب الاسلامي العالمية " وقد تبنى المفكر الاسلامي الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي إنشاء هذه الرابطة ، فعُقد مؤتمرها الاول في " لكهنو" بالهند عام ١٩٨٦م ، وانتخب الندوي رئيساً لها ، واختير المركز الرئيس للرابطة في الهند ، ثم انتقل مقر الرابطة إلى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٠م ، بعد وفاة الشيخ أبي الحسن الندوي وتم أنتخب مجلس الأمناء بالإجماع وأختير الدكتور عبد القدوس أبي صالح أحد مؤسسي الرابطة رئيسا لها .(١٢)

وقد طرحت الرابطة تعريفها لهذا المصطلح فعرفته بأنه :

((التعبير الفني الهادف عن الكون والانسان والحياة وفق التصور الاسلامي)) .(١٣)

وتتحدد أهداف الرابطة حسبما تضمنه البند الثالث من لائحتها – كما أوردها موقعها على الشبكة الدولية للمعلومات – في أنها تهدف إلى تأصيل الأدب الاسلامي وإبراز سماته في القديم والحديث وإرساء قواعد النقد الأدبي الاسلامي، صياغة نظرية متكاملة للأدب الاسلامي، وضع مناهج اسلامية للفنون الأدبية الحديثة، إعادة كتابة تاريخ الأدب الاسلامي في آداب الشعوب الاسلامية. وتضمنت الأهداف أيضاً ما يسمى بنقد المذاهب الأدبية المنحرفة، تعزيز عالمية الأدب الاسلامي، كذلك توثيق الصلات بين الأدباء الاسلاميين وإقامة التعاون بينهم، هذا بالإضافة إلى العديد من الأهداف العامة مثل تكوين وسائل نشر، والدفاع عن الحقوق الأدبية للرابطة وأعضائها والاهتمام بأدب الأطفال الاسلامي .

أما مبادئ الرابطة فتتلخص في عد الأدب الاسلامي التعبير الفني الهادف عن الانسان والحياة والكون وفق التصور الاسلامي، وأن هذا الأدب ريادة للأمة، ومسؤولية أمام الله عز وجل، وأنه أدب ملتزم ، والتزام الأديب فيه التزام عضوي نابع من التزامه بالعقيدة الاسلامية ، ورسالته جزء من رسالة الاسلام العظيم .

وعدت مبادئ الرابطة أيضا أن الأدب هو الطريق لبناء الانسان الصالح، ومسؤول عن إنقاذ الأمة الاسلامية، وأن وجود الأدب الاسلامي حقيقة منذ انبلج فجر الاسلام ، وهو يستمد عطاءه من مشكاة الوحي وهدي النبوة، ويمتد عبر العصور إلى عصرنا الحاضر ليسهم في الدعوة إلى الله عز وجل ومحاربة أعداء الاسلام والمنحرفين عنه.

كذلك عدت هذه المبادئ أن الأدب الاسلامي هو أدب الشعوب الاسلامية على اختلاف أجناسها ولغاتها، وخصائصه هي الخصائص الفنية المشتركة بين آداب الشعوب الاسلامية كلها، ومن أهم ما جاء في هذه المبادئ على نحو عام أن الرابطة ترفض النظريات والمذاهب الأدبية المنحرفة، والأدب العربي المزور والنقد الأدبي المبني على المجاملة المشبوهة أو الحقد الشخصي، كما ترفض لغة النقد التي يشوبها الغموض وتفشو فيها المصطلحات الدخيلة والرموز المشبوهة، وتدعو إلى نقد واضح بناء، يعمل على ترشيد مسيرة الأدب، وترسيخ أصوله . كذلك عدت هذه المبادئ أن اللغة العربية الفصحى هي اللغة الأولى للأدب الإسلامي الذي يرفض العامية ويحارب الدعوة إليها .

أما عضوية الرابطة فلن تتاح إلا لمن يلتزم ــ بطبيعة الحال ــ بمبادئ الرابطة ونظامها ويعمل على تحقيق أهدافها ، وتتكون الرابطة من هيئة عامة ومجلس أمناء ومن رئيس وعدد من النواب وتمتلك مكتبين رئيسيين أحدهما مكتب شبه القارة الهندية وما جاورها، وثانيهما مكتب البلاد العربية وما جاورها ، الذي يضم بعض المكاتب الإقليمية بالأردن ومصر والمغرب واليمن والسودان وتركيا ، بالإضافة إلى أفريقيا وأوروبا وأمريكا.

وتصدر الرابطة عدة مجلات مثل مجلة الأدب الاسلامي التي تصدر بالتركية، ومجلة منار الشرق التي تصدر بالعربية في بنغلاديش، ومجلة الحق التي تصدر في بنغلاديش أيضا بالبنغالية، ومجلة قافلة الأدب التي تصدر في باكستان باللغات الأوردية والعربية والانكليزية والمجلة نفسها تصدر أيضا في الهند بالأوردية، ومجلة المشكاة التي تصدر في المغرب ومجلة الأدب الاسلامي التي يصدرها مكتب البلاد العربية.

وقد أصدرت الرابطة حوالي ثلاثين كتاباً حتى الآن معظمها في أشكال إبداعية كأدب الطفل وما يسمى بالشعر الاسلامي بالإضافة إلى إقامة بعض المسابقات وعقد بعض الندوات في بعض المكاتب الإقليمية .(١٤)

بعد ذلك تناقلت الصحف والمجلات مصطلح الادب الاسلامي قبولاً واعتراضاً ، ونشرت حوله الكتب والدراسات ، وألقيت فيه المحاضرات ، وأصبح يُدرس في بعض

الجامعات العربية ، كجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض ، إذ ضمنته في خطتها الدراسية ، وجعلته عنصراً أساسيا من عناصر قسم البلاغة والنقد ، في كلية اللغة العربية فأطلق عليه اسم " قسم البلاغة والنقد ومنهج الادب الاسلامي " ثم حذت حذوها " الجامعة الاسلامية " في المدينة المنورة ،إذ قررت إدخال هذه المادة في خطة دراستها .(١٥)

*** الادب الاسلامي ..المفهوم والدلالة :**

واجه مصطلح " الادب الاسلامي " إشكالات كثيرة وتساؤلات تمثلت أساسا في مفهوم هذا المصطلح ودلالته ، اذ ان هذا المصطلح وضع الدارسين امام حيرة بسبب الضبابية التي اكتنفت المصطلح ، وقد كان نتيجة هذا ان انقسم منظروه في تحديد ماهية المصطلح ودلالته على ثلاثة آراء :

الرأي الاول : يرى اصحاب هذا الرأي ان " الادب الاسلامي " هو ادب مضموني بالدرجة الاولى ، يعبر عن قيم اسلامية صادرة عن اديب مسلم ملتزم بالاسلام نهجاً وتصوراً وفكراً ، وهذا المفهوم استند الى قاعدتين رئيسيتين في تحديد مفهوم " الادب الاسلامي " : الاولى : المضمون والثانية : المنشئ او الاديب ، وكلاهما أشترط فيهما صفة " الاسلامية " مع اشارة عابرة للجانب الفني ، وهذا ما نلمسه من تعريفات بعض الذين كتبوا في الادب الاسلامي تنظيراً وتطبيقاً ، وسنورد بعضاً من تعريفاتهم :

* د. جابر قميحة : ((يقصد بالأدب الإسلامي الإبداع الشعري والنثري المعبر عن تصور الأديب المسلم للوجود والناس والقيم، انطلاقًا من العقيدة الإسلامية؛ يستوي في ذلك ما كان موجودًا في الواقع، أو ما يستشرفه الأديب ويتطلع إليه في عالمه الخاص ورؤيته الإبداعية))(١٦) ؛ وقد حدد مفهومه للاديب المسلم فقال :((إن الإسلام شرط أساس في وصف الأديب المسلم، أي أن مبدع الأدب الإسلامي يجب أن يكون مسلمًا))(١٧) .

* الشاعرة والباحثة علية الجعار : الادب الاسلامي هو ((إبداع فني يرتبط بالقيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية، هو أدب يخاطب الوجدان من خلال رؤية إسلامية)) (١٨) ، وعلى الرغم من ذكرها الجانب الفني في تعريفها الا ان المضمون الاسلامي هو الذي يميز هذا الادب عن غيره كما ترى الباحثة .

* الباحث محمد حسن بريغش : ((الادب الاسلامي هو الادب الذي يعبر عن التصور الاسلامي في الحياة بكل ابعادها والوانها))(١٩) . ويصف " الادب الاسلامي " بانه ((أدب متميز لا يبدعه إلا أديب إسلامي موهوب، ولا يتذوقه إلا سوي الفطرة، ولا يتشكل ويتكامل إلا عبر التجربة الأدبية التي يخوضها الأدباء الإسلاميون أنفسهم، ولا تحدد شروطه وموازينه وأساليبه وأشكاله إلا من خلال التصور الإسلامي الواضح، الشامل والتجربة الواقعية الحية للأديب المسلم))(٢٠) ، ويحاول ان يحدد هوية الاديب " المسلم " فيقول : ((وعندما نتناول صفة الاديب المسلم نرى انه هويته لاتتحدد الا من خلال هذه الصفة " المسلم " ، وانه لايدخل في اطار الادب الاسلامي الا من هذا المدخل فقط لان صفة الاديب فقط يشترك فيها مع غيره من الادباء مهما كانت وجهتهم وصفاتهم ، وهي لا تشير الا لموهبته وقدرته الادبية فحسب ، التي تميزه عن بقية الناس في انفعالاته واحاسيسه وافكاره ، ولذا نرى ان الادباء يتفاوتون ويتمايزون على اساس معتقداتهم ، كلهم يمتلك وسيلة الكتابة والتعبير ، ولكن كلاً منهم يعبر عما يريد من افكار وبما يؤمن من اشياء ومثل ، بالاسلوب الذي يراه مناسباً لهذا الاعتقاد ... ولكن الاديب المسلم لا يكتسب هذه الصفة الا اذا كان مؤمناً حقاً ومسلماً صادقاً يلتزم شرع الله فكراً وسلوكاً واعتقاداً ، ولافرق في اكتساب صفة الايمان هذه بين المسلم والاديب وغير الاديب ، فاذا كانت الصفة لازمة للمسلم العادي الذي لايتعدى تأثيره الى غيره فهي اكثر لزوماً واشد ضرورة ووضوحاً للاديب المسلم لانه سيكون في موضع التوجيه والريادة والتأثير ، وسيأخذ لوناً من الوان الدعوة ، وصورة من صور القدوة))(٢١) .

وقد ترتب على هذا المفهوم لمصطلح " الادب الاسلامي " نتائج سلبية كان من بينها :

اولاً : اتجاه " الادب الاسلامي " اتجاهاً تعبوياً " دعوياً "، تنظيراً وتطبيقاً وابداعاً ، مما جعل المتابع يلمس ان هذا الادب هو رد فعل على افرازات الواقع ، وخير مثال على ذلك ما كتبه الدكتور عبد الباسط بدر – وهو احد المنظرين لمصطلح " الادب الاسلامي " ، اذ يقول :

((لا يخفى على احد ان مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة تعاني من هجوم شرس يسعى الى سلخها من اسلامها ، او محاصرة الاسلام فيها في زوايا ضيقة ، بعيدة عن شرايين

الحياة الاساسية : السياسة والاقتصاد والادارة والتعليم والفنون والآداب ... الخ ، ويزيد من خطورة هذا الهجوم انه ليس هجوماً عسكرياً يستثير المسلمين ، ويحيي فيهم روح الجهاد ، انما هو هجوم " مدني " يستخدم اساليب ذكية هادئة ماكرة ، ويوظف بعض ابناء الامة الاسلامية نفسها ليكونوا رأس الحربة ومعاول الهدم والتدمير . فمن اساليبه : ترويج الظواهر الثقافية الغربية ، وتغيير شخصية الفرد المسلم وجعله نسخة مقلدة وهزيلة للشخصية الغربية ، تقلدها في جوانب الهبوط والتفسخ وليس في جوانب الابتكار والتفوق المدني وتنسلخ – من ثمّ – من تراثها الحضاري الاصيل ، وتتعلق بكل وافد دون تمحيص يذكر .... اذن نحن ازاء حرب حقيقية للشخصية المسلمة والمجتمع المسلم ، حرب تستخدم – فيما تستخدم – الكلمة الموحية المؤثرة ، والمنابر الادبية المختلفة .... واين هم " الادباء المسلمون " في معركة المواجهة ؟ من بديهيات السلوك الاسلامي ان نبحث عن قاعدة لتصرفاتنا في الكتاب والسنة ، ومن اليسير ان نجد فيهما نصوصاً تسوغ لنا دفع العدوان عنا والانتصار لعقيدتنا وشخصيتنا المسلمة من المعتدين ، وان نستخدم منابر الادب نفسها))(٢٢) .

ثانياً : وهذه النظرة من بعض الذين كتبوا في هذا المجال ادت بهذا الادب الى " الايديولوجية " ، وجعلت منه ادباً مغلقاً ، تطغى فيه النبرة الخطابية التي لا تمت بصلة الى مفهوم " الادب " ، وقد نبه الى هذه المسألة الخطيرة الدكتور عماد الدين خليل حيث قال : ((إن كثيراً من المثقفين والأدباء الإسلاميين يتصورون الأدب الإسلامي خطابة وتقريراً وإرشاداً، دعوة للضلال والمارقين إلى التزام الطريق القويم، ومحاربة البدع والأهواء.. إن هذا التصور الساذج الذي يصل إلى حد اليقين لدى فئة من المثقفين ليقف حجر عثرة في طريق الفن الإسلامي يتصدى لهذا السخف، ويكون عملاقاً شامخاً بمستوى العقيدة التي يعبر عنها، والرؤية التي ينفذها، والدعوة التي يستمدها، هذا التصور يمارس تخريبه المتعمد حيناً، وغير المتعمد أحياناً.. إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه، وتحويل الأدب الإسلامي إلى تعاليم وخطب وإرشادات ونصائح ليس إحساناً ولا إتقاناً))(٢٣) .

ثالثاً : هذا المفهوم جعل من " الادب الإسلامي " يغدو أدبا مضمونياً بالدرجة الاولى ، لا يهتم بالناحية الفنية الا " قولاً وتعريفاً " ، وقد كثر نقد هذه الناحية من طغيان المضمون على الشكل من قبل بعض الدارسين والباحثين في " الادب الاسلامي " واعترفوا من ان

قضية الشكل في هذا الادب لم تأخذ حظها اللائق من المعالجة والحوار والتعليق ، مع انها تمثل محوراً اساسياً في البناء الادبي ، يقول الدكتور حلمي محمد القاعود – وهو من انصار مصطلح " الادب الإسلامي " : ((ان التركيز على قضية المضمون استنفد كثيراً من الجهود التنظيرية والتأصيلية للادب الاسلامي ، واذا طالعنا بعض الدراسات التي انشغلت بفكرة الاسلامية في الادب ، رأيناها تعطي قضية الشكل هامشاً محدوداً ومختصراً لا يتكافأ مع اهميتها ومركزيتها ، فمن خلالها تتكشف فنية الادب الاسلامي او صورته الجمالية التي تؤثر في المتلقي ، وأتصور ان الاهتمام بقضية الشكل يرد على كثير من التساؤلات – او قل الاتهامات – التي ترى او تظن ان الادب الاسلامي ، ادب مضمون ومواعظ ، ولا علاقة له بالانجاز الفني او الابداع الادبي ، وهو ظن غير صحيح في حقيقة الامر))(٢٤) .

رابعاً : ان اصحاب هذا الرأي تكلفوا في اطلاق التسميات ازاء الاعمال الادبية ذات المضمون الاسلامي التي كتبها ادباء غير اسلاميين – او غير ملتزمين اسلامياً – فقسم قال انها غير داخلة في الادب الاسلامي وانما لها تصنيف آخر ، يصفها الدكتور جابر قميحة بـ" الادب الموافق " أو "الأدب المادي" ، أي الذي كاد أن يكون إسلاميًّا، لولا فارق الديانة، وليس هذا تعصبًا، ولكنه قيد طبيعي من حقنا أن نضعه في تحديد مفهوم الأدب الإسلامي كما يقول(٢٥) ؛ اما الأستاذ " محمد إقبال عروي " فقد اقترح مصطلح (الأبعاد الضمنية) بخصوص الأعمال الأدبية لغير الملتزمين بالإسلام، ذلك أن أعمالهم ((لا تتضمن الإسلامية وإنما تحتوي على أبعادها،وهذه الأبعاد ضمنية وليست صريحة)(٢٦) .

الرأي الثاني : حاول اصحاب هذا الرأي ان ينظروا الى " الادب الاسلامي " من زاويتين : الاولى : الادبية " الفنية " ، والثانية : المضمونية المتمثلة في صفة " الاسلامية " ، فـ ((الادب الاسلامي ..... ادب اولاً ، وقبل كل شيء ،ينبغي ان يلتزم بالحد الادنى من متطلبات العمل الادبي وشرائطه .... شأنه شأن أي ادب آخر ليتسنى له الدخول الى حلبة الآداب ثم تأتي بعد ذلك صفة اخرى تُفْرِدُه وتميزه ، هي صفة " الاسلامية "))(٢٧) .

يعرف الدكتورعبد الرحمن رأفت باشاً " الأدب الإسلامي " بانه ((التعبير الفني الهادف، عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيراً ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته)).(٢٨)

أما الأستاذ محمد إقبال عروي فانه يقول فيه : ((الأدب الإسلامي تعبير فني وجمالي يعتمد على مختلف الأشكال المتاحة والممكنة في معالجة قضايا الحياة وفق تصور الأديب ورؤيته الإسلامية)).(٢٩)

لذلك كانت رؤيتهم تتجه الى النص قبل المنشئ ، اذ ليست النظرة فيه الى الاديب وانما النظرة تقوم على العمل الفني وحده اذا كان مستنبطاً فيه الرؤية الاسلامية ، ويقبل فيها مالا يتعارض معها اذ (ان النظرة الى ما قيل لا الى من قال) ، اذ يجب ان يتحقق في النص متطلبات العمل الادبي اولاً ، ولذا فانه ليس متصوراً ان يلغى كل ما قيل من التراث الاسلامي يعد الشاعر ليس اديباً اسلامياً في اعماله كلها ، فالشعراء لم يكونوا جميعاً من الملتزمين بالاسلام سلوكاً وتطبيقاً على الدوام وانما كانت تسنح لهم من حين لآخر لحظات رائعة ، يسمون فيها على نفوسهم ويحلقون فوق ذواتهم ، وذلك حين تشرق في صدورهم روح الايمان وتومض في عقولهم معاني الاسلام .(٣٠)

ولذا فـ" الادب الاسلامي " على وفق هذا الرأي هو أدب مضموني ، وأن الشكل الفني إنما يأتي موظفاً لخدمة المضامين والقيم الإسلامية، أي بوصفه وسيلة تعبيرية لا غير دون أن يكون له خصيصة نوعية تميزه وتكسبه قيمة معرفية وعالمية ؛ ذلك بسبب ان صفة " الاسلامية " هي مدار الاحتكام لمصطلح " الادب الاسلامي "(٣١) ، الذي يكون مفهومه ازاء هذا الرأي هو ((ذلك اللون من الادب الذي يحمل عاطفة او نزعة اسلامية ، ويعبر ويدل على مفهوم فكري اسلامي ، او يدعو اليه .. وبهذا ؛ فالذي يميز الادب الاسلامي عن غيره من الوان الادب ومذاهب فن القول محلياً وعالمياً ، هو الدلالة والمحتوى ، وليس معنى ذلك ان تتحول دلالة هذا الادب ومحتواه الى وعظ ودعاء وتسبيح وتحميد واستغفار وابتهال .. وذكر لانعم الله وآلائه .. وليس ضرورياً – كذلك – ان يكون مدحاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وتسجيلاً لانتصاراته وصفاته وشمائله ، او يكون اطراءً ومدحاً لآل بيته واصحابه ، وتغنياً بامجاد الاسلام والمسلمين ،وإشادة ببطولاتهم وتاريخهم الماجد النبيل ! ... ليس هذا وحده هو " الادب الاسلامي " .. فهذا

جزء من كل ... الادب الاسلامي ... اوسع من ذلك بكثير ، اذ قد نجد نصاً ادبياً ليس فيه شيء من تلك الامور بتة ، ونجده مع هذا ادخل في باب الادب الاسلامي واكثر لصوقاً به من غيره ؛ لانه اكثر تعبيراً عن " امتلاء النفس بالمشاعر الاسلامية " الحيـــة الدافقـــة ، وادعى الى ايقاظ نوازع الخير والطهر والجمال التي جاء الاسلام لاشـــاعتها في الكون ، وبســـــطها في العـــالمين ! ..))(٣٢) .

يقول الدكتور عبد الحميد ابراهيم : ((والادب الاسلامي بهذا المفهوم الواســـع لا يركز على الاشخاص ولكنه يركز على النص ، لا يهتم بالناتج ، ولكنه يهـــتم بـــالمنتوج ..... ومن هذه الرؤية فان بعض اعمال نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ويحيـــى حقـــي ، تدرج في مصطلح الادب الاسلامي . بل ان بعض اعمال جوته ودانتي يمكن ان تدخل في هذا المفهوم))(٣٣) .

ولذا فان من هذا المفهوم الواسع لـــ((لادب الاسلامي)) ، ان نظر اصحاب هذا الرأي الى الادب العربي كله وعبر عصوره على انه ادب اسلامي ، مستوحين فكرة ان هذا الادب نما وترعرع في بيئة اسلامية ومجتمع اسلامي ؛ وهذا المفهوم لـــ((لادب الاسلامي)) قريب مما طرحه المستشرق الالماني بروكلمان حينما ميّز بين أدبين : أدب الأمة العربية والأدب الإسلامي، وهو تميز بين الأدب العربي والأدب الإسلامي. فالأدب العربي – عنده – هو ما صدر عن العرب ، كما أن الأدب الألماني صادر عن الألمان ، والروسي عن الروس ، والإنجليزي عن الإنجليز. وأما (الأدب الإسلامي) فقد أطلق بروكلمان هذا المصطلح مراعيا أمرين اثنين : الأمر الأول هو إسهام الشعوب الإسلامية في هذا الأدب ، وأما الأمر الثاني فهو تخلص هذا الأدب من الروح الجاهلية وبقاياها التي كانت ما تزال قائمة على عهد بني أمية ، كالعصبية القبلية(٣٤) ، وهذا يعني أن بروكلمان نظر إلى المصطلح من جانبين اثنين هما : الامتداد الجغرافي المتصل بالأمم المفتوحة وانتشار الشعوب الإسلامية في أقطار من الأرض شتى من جهة ، إذ لم يعد ذلك الأدب محصورا في جزيرة العرب وأطرافها فحسب ، ثم جانب النظر إلى ذلك الأدب في بعده العميق المتصل بالقيم المستجيبة لروح الإسلام ، وهذا يثير قضية أساسية تتعلق بعلاقة الأدب باللغة، فبالرغم من أن هؤلاء الأدباء المنتمين إلى شعوب إسلامية مختلفة قد اتخذوا العربية لسانا في آدابهم ، إلا أن ذلك غير كاف

لجعل هذا الأدب عربيا خالصا ، عند بروكلمان ، فالأصح عنده أن يقال إنه أدب إسلامي مكتوب بالعربية ، وهذا يفتح أفقا آخر له أهميته، وهو أن صفة الإسلامية التي اكتسبها هذا الأدب ليست نابعة من اللغة بقدر ما هي نابعة من الدين الذي اعتنقه هؤلاء وعاشوه وتمثلوه وتشربوه فانعكست روحه في آدابهم .(٣٥)

ونتساءل : اذا كان ممكناً ان نجد نصاً ليس فيه شيء من " الاسلامية " تلك ، ثم يكون ((ادخل في باب الادب الاسلامي واكثر لصوقاً به من غيره ؛ لانه اكثر تعبيراً عن " امتلاء النفس بالمشاعر الاسلامية " الحية الدافقة))(٣٦) ، فما الداعي اذن لتسمية ذلك الادب بـ((الاسلامي)) ؟؟!

اننا ازاء مفهوم فضفاض فيه من السعة والمرونة ما يجعله مصطلحاً " مطاطياً " يستوعب كل الاعمال الابداعية بدعوى انها تصدر عن " تصور اسلامي للكون والانسان والحياة " ، ولكون هذا التصور فيه من الشمولية والسعة فانه ينطبق على نتاجات المسلم وغير المسلم ، وبالتالي سنكون امام ادب انساني عام وليس " ادباً اسلامياً " .

وقد تنبه احد المهتمين بـ" الادب الإسلامي " الى هذه المشكلة حين تساءل قائلاً : ((هل معنى اللقاء الجزئي مع ادب الآخر يعني عدّ هذه " الجزئية " ادباً اسلامياً ؟ وهل من المنطق ان العمل المنبثق من تصور شامل للحياة والكون والانسان ، لن يتقاطع مع التصور الاسلامي جزئياً او كلياً ؟ ولمَ يحق لنا ان نسمي ادب الآخر الملتقي معنا (اسلامياً) ولا يحق للأخر ان يسمي ادبنا الملتقي معه ادباً نصرانياً او بوذياً او يهودياً الى آخره من المسميات الدينية او الدنيوية ؟! ان التصور الاسلامي مهما التقى (انسانياً) مع الآداب الاخرى فان له ملامحه وحدوده ، وليس من الميوعة بحيث يذوب في آداب الافكار والفلسفات الاخرى ، او تذوب هي فيه ، وفرق كبير بين ميوعة (اللاملامح) وبين المرونة والانفتاح والتفاعل مع الآخر))(٣٧) .

الرأي الثالث : الادب الاسلامي – حسب هذا الرأي – هو كل ينتجه الاديب الملتزم بالاسلام – فكراً ومنهجاً وتصوراً – من نصوص ادبية سواء كانت هذه النصوص اسلامية ام لم تكن كذلك ، شرطها ان تكون صادرة عن اديب اسلامي .

وقد انبثق هذا المفهوم من رؤية بعض منظري " الادب الاسلامي " الى ماهية العمل الادبي من انه ((التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية))(٣٨) ، فالعمل

الادبي يعتمد – حسب هذا المفهوم – على جزأين : التجربة الشعورية ثم التعبير عنها تعبيراً موحياً جميلاً ، ويراد بالتجربة المذكورة انفعال الاديب والفنان بمؤثر ما ، او موقف من المواقف ، يتحرك له وجدانه ، فيسعى الى التعبير عنه تعبيراً جميلاً مؤثراً في نفوس الآخرين ، لينفعلوا مثل ما انفعل هو .(٣٩)

والتجربة الشعورية تتشكل – عادة – من الاحساسات التي تشبّع بها الأديب في مراحل حياته ، فاذا كانت هذه التراكمات ذات منزع اسلامي ، فانها تكون – أي التجربة – بمثابة القالب الذي يقولب كل ما يصدر عن الاديب المسلم في قالب اسلامي ، سواء كان ابداعه يشتمل على مضامين اسلامية ام لا ، وسواء عبر عن تجاربه بطريقة مباشرة ام كانت غير ذلك ، ولذا فان الناقد " سيد قطب " نظر الى " الادب الاسلامي " في احد مفاهيمه بانه ((التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الاسلامية)) . (٤٠)

نتيجة لذلك فانهم قرروا ان الاديب – أي اديب – اذا ادعى انه " اديب اسلامي " ثم تخلف ادبه عن ذلك ، او كان عاجزاً عن التوافق والانسجام مع اسلاميته او تصوره الاسلامي او مرجعيته الاسلامية ، فان الامر لايعدو شيئاً من أثنين : اما انه غير صادق فيما يدّعيه من " اسلامية " هويته ، واما ان يكون سيئ التعبير رديء التوصيل عاجزاً عن تصوير ما في نفسه، او نقل تجربته الشعورية نقلاً صادقاً .(٤١)

فالأدب صورة عن صاحبه كما هو معروف، والأدب الرفيع يعبر دائما عن رؤية صاحبه إلى الوجود، مهما يكن الغرض الذي يتناوله.ولذلك كان من الطبيعي ألا يصدر عن الأديب المسلم النقي الفطرة إلا الأدب الإسلامي، كما أنه لا يصدر عن الوجودي إلا الأدب الوجودي، ولا عن الماركسي إلا الأدب الماركسي، ولا عن النصراني إلا الأدب النصراني. هذا ما تنطق به النصوص ويؤيده الواقع ، فإذا أصاب فطرة المسلم انحراف ما، انعكس ذلك على سلوكه وعلى إبداعه معا، وأخرج للناس أدبا منحرفا عن الفطرة، أي عن الإسلام ، كما ذهب الى ذلك اصحاب هذا الرأي .(٤٢)

وعلى الرغم من ان هذا المفهوم قيّد الادب باسلامية الانتماء التزاماً وفكراً ، الا انه لم يضيّق عليه او يجعله في حيز ضيق محدود ، بل فتح امامه الباب واسعاً ، في ان يعبر عن أي شيء تجود به قريحته ، او تلهمه مشاعره واحاسيسه ، شرط ان لا يصطدم ابداعه مع ثوابت الاسلام ، ((ان المساحة امام الاديب الإسلامي واسعة اقصى ما تكون

السعة وان موضوعات الادب الإسلامي لا حدود لها وهذه المقولة ليست ابتداعاً بل تطبيق لقاعدة القواعد الكلية في الاسلام وهي " الاصل في الاشياء الاباحة " وهذا يعني ان الممنوعات محدودة ومعينة ... وان أي موضوع مباح الاّ ان يدعو الى ما يخالف الفطرة السوية او يعتدي على انسانية الانسان))(٤٣) .

وهذا المفهوم لـ ((لادب الاسلامي)) تكمن فيه اشكالية تحديد هوية الاديب ، اذ ان هذه الاشكالية تضعنا امام تساؤلات عدة : من الذي يحدد هوية الاديب المسلم ؟ وكيف تشخص هذه الهوية أبالانتماء للدين الاسلامي ؟ ام بالألتزام الاسلامي فكراً ومنهجاً وتصوراً ؟ واذا كانت اسلامية الاديب تتحدد بالانتماء للدين فهل كل مسلم امتلأت نفسه " بالمشاعر الاسلامية " بحيث يستطيع ان يكون نتاجه صادراً عن تصور اسلامي فكراً ومنهجاً ، كما وضعوا هذا الشرط للاديب المسلم ؟ اما اذا كانت هذه " الاسلامية " تعني الألتزام بالاسلام فكراً ومنهجاً وتصوراً فكيف نحدد ذلك ؟ أيكون من خلال الانتماء الحركي الى جماعة او مدرسة اسلامية معاصرة ؟؟ وكيف نعرف ان هذه الجماعة او تلك المدرسة تمثل الاسلام فكراً ومنهجاً وتصوراً ؟؟؟!!

كثيرة هي التساؤلات التي تجعل من المفهوم غير واقعي ولا يعطي لفكرة " الادب الاسلامي " ارضية يستند أليها ، او منطلقاً يعزز مصطلحه ومفهومه .

بهذه الآراء الثلاثة انقسم مفهوم " الادب الاسلامي " ، وتعددت تبعاً لذلك اتجاهاته والكتابات التي حاولت ان تؤصل لهذا المفهوم تنظيراً وتطبيقا ، ابداعاً ونقداً ، ولهذا كثرت الاشكاليات ، وازداد المصطلح ضباباً ، ولاسيما حينما تكلفوا في تأويل المصطلح لايجاد مفهومات تتسق والمعطيات التنظيرية للعمل الادبي ، فحاولوا ادخال الادب الى حيز التقسيمات الجدلية " المنطقية " سعياً منهم الى اعطاء مسوغ علمي لمصطلح " الادب الاسلامي " . (٤٤)

*** الادب الاسلامي .... مسوغات الوجود :**

اعتمد الداعون الى الادب الاسلامي على جملة مسوغات وأدلة ، تؤكد – فيما يرون – على ضرورة وجود " أدب إسلامي " ، وقد تعددت هذه المسوغات تبعاً للرؤية التي ينظر إليها الباحثون في هذا المجال ، ومن هذه المسوغات :

أولا : المسوغ الديني : أكد الباحثون في مجال الادب الاسلامي ، من أن هذا الادب له ما يبرر وجوده وهو ليس بدعاً من الأمر ، وذلك لارتباط الادب عموماً – ومنذ القدم – بالدين عقيدةً أو أثرا ، وقد كانت علاقة الاسلام بالادب علاقة ايجابية ، والموروث الاسلامي في ذلك يشهد على هذه العلاقة الحميمة ، النابعة من طبيعة المنهج الاسلامي ، إذ ان الاسلام دين شامل لكل مناحي الحياة ، فهو ليس كباقي الأديان عبارة عن طقوس وشعائر تؤدى في المعابد او الأماكن المقدسة ، بل هو نظام متعدد الجوانب شامل الأبعاد ، كل لايتجزأ ، ولذلك كان تأثير الفكر الاسلامي بارزاً في كل جزئيات الحياة ، مما نتج عن ذلك التصور الاسلامي الشامل للحياة ان ظهر ما سُمي بـ ((الاقتصاد الاسلامي)) و((الإعلام الاسلامي)) و ((والفن الاسلامي)) .... ، فكان لابد من ان يكون هناك ادب له منهج اسلامي يستقي قيمه ومبادئه من التصور الاسلامي للكون والحياة والانسان . (٤٥)

وعلى الرغم من وجاهة هذا الرأي ، وتسليمنا الكامل بأن الاسلام " نظام شامل لكل مناحي الحياة " ، الاّ ان هذا لا يسوغ وجود نظرية او مصطلح بأسم " الادب الاسلامي " اذ ان الأمر لا يعدو ان يكون توظيفاً للمعاني او القيم الاسلامية في الادب مثلما يوظف الانسان ذو الديانة المسيحية او اليهودية ..... قيمه الدينية في أدبه .

ثانياً : المسوغ التاريخي :ذهب ممن كتب في " الادب الاسلامي " الى ان وجوده حقيقة تاريخية ، وان تاريخه يمتد من عصر صدر الاسلام وحتى عصرنا هذا ، وان إطلاق مصطلح " الادب الاسلامي " على مرحلة تاريخية بعينها غير صحيح ؛ لان الاسلام ظل مؤثراً في الحياة طوال حكمه في عصور متعددة ، يقول الدكتور احمد مطلوب – وهو احد مؤيدي مصطلح الادب الاسلامي : ((لقد ظهر أدباء خلال العصور المختلفة يحملون الفكر الاسلامي ويعبرون عنه ، وزخر النثر بكثير من الصور المشرقة التي تظهر القيم الاسلامية الرفيعة بأسلوب بديع فيه من الإقناع ما يحمد عليه أصحابه ، وحفل الشعر العربي ببعض الاشراقات الاسلامية التي كانت تضيء من خلال ما تراكم من شعر شغل بالتعبير عن ملذات الحياة والدعوة الى اغتنام الفرصة ، لان الحياة سراب ، وكاد هذا اللون يطغى على الشعر العربي في فترات مختلفة ، لولا نداء الضمير واندفاع المؤمنين الى المساهمة في الحياة العامة والتصدي لكل من يسيء الى العقيدة او يحاول طمس

أنوارها . ولعل شعرالحب العفيف الذي ينبع من قلوب تخشى الله ، وشعر الدفاع عن الطبقات المسحوقة والشعر الصوفي ، والشعر الذي صور انتصارات المسلمين على أعداء الله ، خير ما بقي من ذلك التراث الضخم)) .(٤٦)

والدكتور احمد مطلوب حينما يقر بوجود ادب اسلامي في عصور سالفة فانه لم يؤكد ما يثبت وجود مصطلح بهذا المعنى ، او على اقل تقدير وجود ظاهرة واضحة المعالم ، كما ان النقاد العرب – قدامى ومحدثين – لم يشيروا – حينما درسوا تاريخ الادب العربي – الى وجود هذا المصطلح الا في حدود المرحلة ، فأطلقوا على ادب عصر صدر الاسلام بـ((الادب الاسلامي)) تجوزاً ، اما الادب العربي الذي وظف المضامين والقيم الاسلامية فلم يطلقوا عليه هذه التسمية ، كما هو واضح في شعر الزهد والتصوف ، وشعر المديح النبوي ، وشعر الفتوحات الاسلامية والدعوة الى الله ، أما مسألة الأخلاق والحب العفيف وما شابه هذه المفاهيم ، فانه – وان كانت تدخل في مفهوم " الادب الاسلامي " كما يصطلحون على تسميته بمفهومه الواسع – الا ان هذه القيم هي نتاجات بيئة اسلامية ، استوحت قيمها من تعاليم الاسلام ، وثمّ فان من يعبر في أدبه عن تلك القيم لا يعد أديبا إسلاميا – بمعنى المصطلح – بقدر يكون أديبا عبر عن إحساساته وتجاربه المنبثقة من شعوره الممتلئ بتلك القيم التي استوحاها من عقيدته الاسلامية وبيئته التي ترعرع فيها .

وإذا كان هناك من أشار الى وجود حقيقة تاريخية للادب الاسلامي من خلال القيم والمضامين ، فان بعض من كتب في هذا الميدان قد عدّ الادب العربي كله وعبر عصوره أدبا اسلامياً ، مستوحياً فكرة ان هذا الادب نما وترعرع في بيئة اسلامية ومجتمع اسلامي ، وتبعاً لذلك فان الأصل في الادب العربي هو صفة " الاسلامي " ، ذلك لان إضافة الادب الى الاسلام لم تُسمع خلال الحقب التاريخية المختلفة التي مرت على المجتمع الاسلامي– الا في حدود المرحلة ، بسبب ان المجتمع كان اسلامياً في طبيعته ، فلم تكن هناك حاجة الى ذكر الادب الاسلامي اذ أنهم في حاجة الى ذكر تاريخ الشاعر غير الاسلامي بعنوان " فسقه ومجونه " بوصف الشاعر في هذا النوع من شعره قد خرج مما تآلف الناس عليه وما تعارف على نمط سلوكه كما ورد التعبير عند ترجمة الشاعر في باب من أبوابه " شعره الديني " وبخاصة في الشعر العربي الحديث ويتناولون في هذا

الباب جانباً من المفهوم الديني في الشعر في فهم قاصر لمفهوم الدين عندهم – كما يرى اصحاب هذا الرأي – ويذكرون قصائد الشاعر في الهجرة النبوية او في المديح النبوي او أي مناسبة دينية ، ونتيجة لذلك فان الادب الاسلامي هو الأصل في الادب .(٤٧)

وهذا الرأي اذا ما نظرنا اليه من زاوية المفهوم الذي قدموه لمصطلح " الادب الاسلامي " فانه رأي مبالغ فيه لان الادب العربي لايمثل الروح الاسلامية بشكل دقيق ، وفيه من النتاجات الادبية التي تصطدم مع التصور الاسلامي ، كشعر الغزل الماجن ، وشعر الخمر والطعن في الأعراض والتحريض على إثارة العصبيات والتمييز العنصري والدعوة الى الخروج على الاسلام ، وشعر التملق والمدح ، يضاف الى ذلك ان بعضه كان ينتمي الى دعوات وعقائد تناقض الفكر الاسلامي وتصارعه ، وهذا كله من غير الممكن الاستهانة به والتقليل من شأنه ، كما ورد في قول احدهم انه ((من نوع قد خرج مما تآلف الناس عليه)) .

ثالثاً : المسوغ الحضاري : وهذا المسوغ يستند إلى أساس مفاده ان الاسلام هو الذي منح الحضارة العربية وجودها المميز ووضعها في مهب التاريخ ، ومنحها صفة العالمية ولولاه لظل العرب على هامش التاريخ ، فنحن إزاء حضارة ، هي الحضارة العربية الاسلامية ، التي لها رؤيتها الفكرية المميزة ، والتي عكستها خلال تطبيقات متنوعة ، على مدى المراحل التاريخية الممتدة ، وهي حضارة تنتمي الى تراث المنطقة ، التي تؤمن بإله خالق وراء هذا العالم المحسوس ، والتي بشرت بشرائع ثلاثة " اليهودية والنصرانية والإسلام " ، كروافد متنوعة لأصل واحد ، يشير الى تلك القوى الكامنة وراء الأحداث التاريخية المختلفة .(٤٨)

يقول الدكتور عبد الحميد ابراهيم : ((فحضارة هذا شأنها ليس عجباً ان يكون لها أدبها ، الذي يعبر عن خصوصيتها ، ويمثل ميولها الإبداعية . بل العجب كل العجب ان لا يكون لها هذا الادب ، لان غيابه يدل على تخلف الظواهر عن نسقها المطرد ، الذي اعتاده المرء حسب ما تهديه تجربته ، وحسب ما يستنتجه من وقائع التاريخ)) . (٤٩)

والحقيقة ان الحضارة الاسلامية كان لها تأثير عظيم في الثقافة العربية والثقافات الأخرى المجاورة لها ، وقد طبعت هذه الثقافة وتلك بطابع خاص مميز ظهر على نتاجات المثقفين الذين تأثروا بالحضارة الاسلامية وما انتجته من تراث ضخم امتد لمئات السنين ،

الاّ ان هذه الحضارة لم تضع ضوابط محددة يمكن ان تكوّن – فيما بعد – نظرية خاصة لأدب خاص بها ، بقدر ما ألقت بظلالها على نتاجات الادباء الذين عاشوا في كنفها وترعرعوا في بيئاتها المختلفة ، ونشأوا متأثرين بنسقها الثقافي ، الذي بدا واضحاً من خلال ما كتبوا من أدب عبّر عن روح هذه الحضارة وما تضمنته من قيم تألقت بها .

رابعاً : المسوغ القياسي : طرح الداعون الى الادب الاسلامي بعض مسوغاتهم من خلال مقارنة قياسية مع حالات متشابهة ومتماثلة الى حد ما بظاهرة " الادب الاسلامي " ، وابرز مسوغين قياسيين طُرحا هما : المسوغ القياسي الديني ، والمسوغ القياسي الأيديولوجي .

اولاً : المسوغ القياسي الديني : حاول الدكتور عبد الحميد ابراهيم إيجاد مسوغ ديني لهذه الظاهرة من خلال عقد مقارنة بين فكرة الادب الاسلامي وفكرة الادب اليهودي والمسيحي ، اذ يقول : ((والعجب ان يتقبل [بعضهم] فكرة الادب اليهودي ، او الادب المسيحي ، ولا يتقبل فكرة الادب الاسلامي .. فالحديث عن الادب اليهودي متواتر ، ولا يقابل بالتساؤل او الاستغراب ، بل يقابل بالصمت او الإعجاب .. وهو حديث يمتد على مدى التاريخ او خلال " الحارة " اليهودية التي تتسكع على دروب التاريخ ، في قرطاجنة ، وفي بابل ، وفي فلسطين ، وفي اسبانيا ، وحتى في مكة والمدينة .. وهو حديث ترتفع نبرته في العصر الحديث حيثما تتزايد الجاليات اليهودية في امريكا ، وحيثما يسيطرون على المال ، والنساء ، ومناطق النفوذ ، وأوراق الانتخاب ، فانه يقابل بالتشجيع وجوائز نوبل ، واهتمام النقاد الذين يكشفون دون ملل عن خصائص هذا الادب اليهودي ، وتعبيره عن ظروف جماعة خاصة ، لها رؤيتها الخاصة ، ويربطونه بنصوص في التوراة وبمخلفات التابوت ، وبتراث إسرائيل)) .(٥٠)

اما عن الادب المسيحي فيقول : ((والأدب المسيحي يتقبلونه كذلك دون اعتراض ، ويتابعون ظواهره سواء في أثينا او في روما او بين قبط مصر ، ويحللون نصوصه ، ويرونه يمثل تركيبة جوهرية في البنية الثقافية للحضارة الأوربية ، وترتفع الآن الأصوات للإعلان عن هذه الظاهرة لمقاومة النزعات المادية ، ونزعات العبث ، ان الكاتب اليوناني " كازنتزاكي " يتحدث عن الشخصية المسيحية ، وتعكس رواياته هذه النزعة عنده ، وخاصة روايته " المسيح يصلب من جديد " ومع ذلك لا يقابل بالاعتراض او

السخرية ، قد يخالفه [بعضهم] في نزعته ، ولكنهم لا ينكرون ذلك على الموروث الثقافي في اليونان)) .(٥١)

ثم يقول بعد ذلك : ((والإسلام ليس بدعاً في ذلك ، فمن العدالة ان ينطبق عليه مثل ما ينطبق على نظيريه : اليهودية والنصرانية ، بل ربما كان هو ادخل منهما في ظاهرة الادب الاسلامي ، فهو معجزته الكلمة بين قوم اشتهروا بالفصاحة ، والادب الذي تملك عليهم كل مواهبهم الابداعية ، ولم يترك للفنون الاخرى ، سواء كانت تشكيلية او موسيقية)) .(٥٢)

ونحن لا نسلم بما ذهب اليه الدكتور عبد الحميد ابراهيم من خلال مقارنته تلك ، فالنقاد والادباء لم يطلقوا اسم ادب يهودي او ادب مسيحي او نصراني ، وانما كانت هناك مضامين دينية " يهودية او مسيحية " في ادب الشعوب الذي عكس تلك القيم والمضامين الدينية ، وحتى لو افترضنا ان اليهود عندهم " ادب يهودي " ، فان تكوينهم الديني العقدي يختلف اختلافاً جذرياً عن النشأة والتكوين الديني للمسلم ، فالأدب الذي كتبه اليهود ارتبط ارتباطاً عضوياً بالتوراة والقيم الروحية ، وذلك لان معرفة التوراة عند اليهود تحتل مرتبة أسمى من الكهنوتية و" الحر " هو فقط الذي يدرس التوراة فهي التي تسمو بالانسان فوق جميع المخلوقات ، حتى الوثني الذي يدرس التوراة له اعتبار يعادل الكاهن الأعلى(٥٣) ، لذا كان بداية ادب اليهود أشعارا دينية وتراتيل وأدعية وأشواقا رومنطيقية موضوعها التوراة و "ارض الميعاد " والتطلع المستمر الى الارض " الخالية " التي تنتظرهم لاعمارها ونقل " الحضارة " إليها وترديد مقولة " شعب الله المختار " (٥٤) ،حتى استحال هذا الادب الى ((منظومة من النتاجات يمكن ادراجها تحت اسم " الادب العنصري " فكما توجد نظرات عنصرية ادبية بلورتها لدى هذا الاديب او ذاك في هذا الادب او ذاك مجمل ظروف سيكولوجية واجتماعية فان الادب الصهيوني بمجمله عنصري الجوهر والبناء فلا يحتوي الا ازدراء للآخرين والدعوة الى العنف والاغتصاب واحتقار الشعوب صراحة احيانا وضمناً اذا اقتضت الظروف))(٥٥) ، ليتحول هذا النوع من الادب الى ادب أيديولوجي اذ ارتبط بالحركة الصهيونية منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين واصبح يسمى بـ((الادب الصهيوني)) ، اذ اثرت هذه الحركة السياسية بادب اليهود وبالنتاج الفكري عموماً تأثيراً بارزاً ، لاسيما حينما استطاعت

الحركة الصهيونية جعل هذا الادب يكتب باللغة العبرية لتكون الخيط الواصل بين فئات مختلفة المشارب والاهواء وحاربت كل توجه لالغائها او استبدالها بلغات اخرى (٥٦) ، لتتحول اللغة العبرية من لغة دينية الى لغة قومية ، وبذلك فان الادب الذي اصطلح النقاد على تسميته بـ" الادب الصهيوني " غدا أدباً أيديولوجيا سياسياً له معالم عقدية بارزة ، ومرتبطاً بمشروع سياسي واضح .

اما الادب " المسيحي " كما يسميه الدكتور عبد الحميد ابراهيم ، فاني أرى – وحسب قراءتي واطلاعي وما علمته من دارسي الادب الانكليزي – انه لايوجد ادب بهذه التسمية ، وانما هنالك توظيف لمضامين وقيم مسيحية او نصرانية ، فالموروث " الكنسي " القى بظلاله على هذا الادب مما جعله يعد ظاهرة بارزة في مرحلة من مراحل تاريخ الادب الانكليزي وبخاصة مرحلة " عصر الاليزابثي " ، وعند قراءة متأنية في كتابات بعض الادباء في هذه المرحلة سنجد اثر الموروث النصراني باديا وبشكل واضح في كثير من النصوص ، يضاف الى ذلك النتاجات الادبية التي تلت هذه المرحلة ، اذ انهم حاولوا اعادة قراءة تراثهم الديني " المسيحي " من خلال رؤى مختلفة وحسبما اوحت به تجاربهم وتكوينهم الثقافي ، وهذا ينطبق على الادب الروسي والفرنسي والاسباني .....وما نتج عن هذه الآداب من اعمال ابداعية وظفت القيم النصرانية ؛ وهذه الاعمال لا تنسب الى الديانة المسيحية او غيرها بقدر ما تنسب الى البقعة الجغرافية التي نشأ فيها هذا الادب او ذاك ، متأثراً بتلك البيئة وما تحمل من مؤثرات فكرية او اجتماعية او ثقافية .

ثانياً : المسوغ القياسي الأيديولوجي : سعى بعض الباحثين في " الادب الإسلامي " إلى ايجاد مسوغ عقدي أيديولوجي قياساً مع النظريات الفكرية الأيديولوجية المعاصرة كالماركسية والوجودية ، فالذي يذهب الى هذا المسوغ يقول : ((ان المعارضين لفكرة " الادب الاسلامي " ، لايعارضون فكرة الادب الملتزم على العموم ، بل يرون في هذه الفكرة قمة المسؤولية ، التي تميز الانسان عن غيره من الكائنات الحية ، في انه يتحمل قدره ، ويدافع عن مبادئه حتى الموت ، وحينئذ يعد شهيداً ، تقام له التماثيل لتخليد ذكراه ومن هذا المنطلق تحدثوا عن الادب الماركسي ، والادب الوجودي ، وأدرجوهما في قائمة الادب الملتزم ، قد يخالفهما [بعضهم] ، ولكنه لايستطيع انكارهما ، او النظر اليهما نظرة تهوين وسخرية ... ان قمة التناقض تبرز هنا حادة ، فالمعارضون يعلون من قدر

الادب الملتزم ، ممثلاً في حالات انتجتها حضارتهم ، ولكنهم يرفضون فكرة الادب الملتزم لو تعلق الامر بالادب الاسلامي)) .(٥٧)

في حقيقة الامر ان هكذا صورة من القياس هو اساءة الى الفكر الاسلامي اذ لا يمكن بحال من الاحول ان نماثل بين فكر عالمي شامل تخطى حدود الزمان والمكان وبين افكار وضعية " مرحلية " ، حتى وان تعلق هذا القياس في قضية محددة كقضية " الالتزام " ، فمفهوم الالتزام في الفكر الاسلامي وبخاصة في قضايا الفن والادب وموقف الاسلام منهما يختلف اختلافاً جذرياً عما هو عليه في الافكار والمناهج الوضعية ، وهذه المسألة قررها الداعون الى الادب الاسلامي انفسهم ، اذ يقول احدهم ان ((الالتزام المعني ههنا – أي في الادب الاسلامي – يختلف عن ذلك الالتزام الذي عرفته المذاهب الادبية الاوربية ، وخصوصاً " الواقعية الاشتراكية " و" الوجودية " ، فالاولى – وهي اول من استخدم هذا المصطلح – تريد به : ان على الاديب ان يلتزم في عمله الادبي خطاً معيناً ، فيسخره ويقصره على " خدمة قضايا الجماهير وحل مشكلاتهم " على الطريقة التي تريدها وترسمها الماركسية ، فلا يكتب ولا ينتج فيما سواها . اما الثانية – الوجودية – فهي تنادي بالتزام الاديب – في النثر وحده دون الشعر – بقضايا " الحرية " حسب المفهوم الوجودي فحسب .

اما الالتزام الذي نريده ههنا – اسلامياً – فهو الالتزام اللغوي فقط ، لا ذلك الذي اصطلح عليه ذانك المذهبان وغيرهما ، اذ يعني الالتزام في اللغة " الاعتناق " ، من الزمته الشيء فطاوع فالتزمه واعتنقه)) .(٥٨)

اذن مفهوم " الالتزام " له معنى آخر في التصور الاسلامي في الادب والفن ، انه لا يتقيد بالتزام معين محدود وانما هو مقيد بمدلول واسع هو الخير كما حدده المنهج الاسلامي وارتضته الفطرة السليمة (٥٩) ، وما دام تعريف " الادب الاسلامي " –كما رأى الباحثون في ذلك – هو التعبير عن ((عن الكون والحياة والانسان في منظور اسلامي))(٦٠) ، فانه ((لا يفرض على الاديب ان يتحدث في موضوع معين او يفتعل تجربة ما او ان يتبنى قضية محدودة بل يخلى له الساحة انطلاقاً من سعة التصور الاسلامي وشموله ليختار موضوعاته وقضاياه بفهمه ان حدود تجربته وتعبيره هي حدود

الكون وافكاره والبشرية ومشاعرها وله ان يتبنى القضية التي يريدها على الاّ يصادم الفطرة السليمة))(٦١) .

نتيجة لذلك فمفهوم الالتزام في التصور الاسلامي في الفن والادب هو مفهوم غير مؤدلج كالماركسية والوجودية ، ومن ثمّ فان قضية " الأيديولوجية " تنتفي من " الادب الاسلامي " ولا يجوز بتاتا ان يقاس عليها بعده مسوغاً ، لا من قريب ولا من بعيد .

*** الادب الاسلامي .... الرأي الآخر:**

واجه مصطلح " الادب الاسلامي " كثيراً من النقد والاعتراضات ، بعض منها كان علمياً وبعضها الآخر اتخذ منحى ايديولوجياً عبر عن وجهة فكرية ، وقليل من هؤلاء من تقبل فكرة هذا الادب مع تحفظه على المصطلح وبعض الاشكالات التي واجهته ، وسنعرض في هذه الفقرة جانباً من هذه الاعتراضات ، تاركاً هذه الآراء – كما هي – للقارئ دون تعليق .(٦٢)

يقول الكاتب والأكاديمي الدكتور ياسر العدل حول المصطلح : لابد من أن نعرف الاسلام نفسه على انه وحي يؤمن به الناس من أجل تنظيم حياتهم من ثلاثة مستويات، مستوى شخصي مع ربه وهو مستوى ايماني والشخصي مع الآخرين وهو مستوى تشريعي والمستوى الثالث مستوى الشخص مع نفسه وهذا ما يمكن تسميته بمنطقة الوجدان.

الأدب أيضا أتى من منطقة الوجدان ويصبح أدباً حين يتجاوز الانسان مشاكل واقعه باستشراف واقع أفضل. اذن الدين يلتقي مع الأدب في منطقة الوجدان، وهي منطقة يمارسها انسان حي له وجود حقيقي، هذا الوجود الحقيقي تحكمه ظروف قابلة للجدل التي لا أستطيع أن أدخل فيها ما يسمى المطلق، ومن ثمّ فهي تعود الى منطقة النسبي وطالما أنه نسبي فانه يخضع لقوانين حياتية عصرية ليس بمعنى التحضر ولكن بمعنى وجود الحضارة نفسها.

بهذا الشكل في العلاقة بين منطقة التماس بين الدين والأدب لا يمكننا ان نطلق مصطلح الأدب الاسلامي لأن الأدب جزئي ولا يمكنه أن يخضع الكل، كما أن الكل لا

يستطيع أن يستوعب حيثيات الجزئي والا سيطر على هذا الجزئي وحوله الى صيغة مدرسية.

وفي الأدب القديم نجد شيلوك تاجر البندقية مثلا وهو عمل درامي رائع لكن النظر له من منظور ديني سوف يفقده الكثير من عبقريته .

فالبطل رجل مرابٍ يجب أن يتعرض للعقوبة، ونحن هنا أمام أمرين، اما ان نعد شخصية شيلوك شخصية مدرسية نطبق عليها قوانين الشريعة وبما أن قوانين الشريعة موجودة فلا حاجة على الاطلاق لاختراع شخصية شيلوك، أما اذا عددنا وجود شخصية شيلوك عملا ابداعيا وله دور درامي وجمالي فسندخل في منطقة أخرى هي جمالية النص أو قبحه، ويشترك في تلقي الجمال هنا كل البشر، باختلاف الأجناس والأديان، لذلك تصبح شخصية شيلوك شخصية انسانية تتجاوز خصوص الدين.

وفي منتصف القرن الماضي ظهرت مصطلحات كبيرة مثل الأدب الماركسي، الادب البرجوازي، تصنيفات تخرجها حضارة تتطور، فنحن أتينا الأرض في حالة ردة لنستعمل مصطلح الأدب الاسلامي نفسه ، ولكي تكو ن المسألة أكثر وضوحا دعنا نتحدث عن بداية العلم، إذ كانت الفلسفة في البداية تضم كل أنواع العلوم، وحين تطور الانسان تمحورت بعض الأبواب على صفات وأدوات تعامل خاصة بها فظهر علم الاجتماع والكيمياء والفيزياء وغيرها. هذا التطور نحو الفصل بين العلوم ظهر في نشاط انساني متباين مثل الأدب، ومن ثمّ أصبح للأدب معاييره الذاتية التي تصلح للحكم على الانتاج الأدبي بعيدا عن التفكير الذي يطرحه الدين بوصفه مفهوماً عاماً ومن هنا يصبح الفصل بين الأدب والدين فصلا حضاريا والا اذا عددنا أننا في بداية التحضر كانت الأديان مازالت غضة وتحتاج الى ما نسميه أجهزة الاعلام فيصبح من وسائل نشر الدعوة الدينية ما يمكن أن نسميه الاعلام الأدبي علما بأنه في بداية عصور الاسلام رفض النبي أن يطلق على نفسه شاعراً وما كان شاعرا وما ينبغي له وهذا يعني ببساطة أن للدين منطقه وللأدب منطقه.

قد تختلط على الناس فكرة الأخلاق والأخلاق في العمل الأدبي، وهذه قضية بعيدة تماماً عن الدين ندخل فيها علوماً فلسفية أخرى مثل علم الجمال وعلم الأخلاق وهي

علوم قابلة للتطور الانساني، أي تخضع الفروض وتضع احتمالات تثبيت أو رفض هذه الفروض.

ولو أردنا ان نكتب التاريخ الاسلامي فلا بد من ان تنطبق عليه معايير علم التاريخ لكن لو نظرنا الى قصة " والإسلاماه " فاننا نجد أنها استخدمت موضوعا في التاريخ الاسلامي وليس موضوعا في الدين الاسلامي، ومن هنا يجوز للكاتب أن يضع شخصيات وينشئ بينها علاقات بالمفهوم الأدبي، وهنا يتم الحكم على " والإسلاماه " كقصة أدبية صالحة أو غير صالحة تستخدم موضوعا اسلاميا كقصة أخرى تستخدم موضوعا انسانيا آخر وهكذا.

ان الدين له شمول معرفي ووجداني في حدود الشريعة أما تناول الوقع اليومي فـ ((أنتم أعلم بشؤون دنياكم)) حتى نترك الفرصة للمتخصصين أن يدلوا بدلوهم ويكون لدى الآخرين القدرة على الفصل بين الدعاية أو التجريس والأدب.

الدكتور مصطفي ناصف الناقد المعروف وأستاذ النظرية بكلية الآدب جامعة عين شمس يرى ان حيوية الاسلام لم تغب عن الساحة، فلماذا الخوف المبالغ فيه من هذه التيارات، وفكرة الأدب الاسلامي لا شك انها أوسع من نظرات هؤلاء، انها أكبر من أن يستوعبها شكل واحد. ويضيف: لذلك أنا أرى أنه ليس هناك مواصفات لما يسمي بـ((الأدب الاسلامي)) ، والأدب يكون انسانيا أولا، ويجب ألا ننسى أننا أصحاب نظرية في النقد، ولكنها قتلت، والواقع أن مبدأ الحوار بيننا وبين النقد العربي الاسلامي لم ينقطع ولكن شكل الحوار اختلف اختلافا جذريا، ففي وقت متقدم من حياة الثقافة العربية بدا أن النحو كعلم أكبر من أن يكون جملة من القواعد التي تضمن سلامة اللسان، وفي وسط التنافس الغريب بين النحو العربي والمنطق اليوناني رأى الباحثون أن ثمة علاقة بين النحو وقواعد التفكير بدا أن التفكير لغة، وأن اللغة على مقربة من استقامة الخلق، بل خيل الى غير واحد أن الاعراب يعادل الخروج من الظلمات وما أريد أن أقوله أن النظرية العربية لم تكن في اللغة أو البلاغة فحسب، بل هي نظرية شملت العلوم التطبيقية والتجريبية والرياضيات وكلها كانت تنضم في حلقة واحدة ومتقاربة وذات وشائج، وما أريد قوله من وراء ذلك أننا فيما بعد انشغالنا بالمصطلح الذي وردنا ــ بعد هنات وضعف ــ من لسان الآخر، حتى أصبح المصطلح نفسه وثنا

مخيفا خدمناه بدلاً من ان نستخدمه، وذلك بعد أن ضيعنا هيبته باستخدام جاهل وسط النزاعات الشكلية التي استوردناها، فألحقنا ثقافتنا بثقافات اخرى ، رغم أنني لست ضد استخدام أساليب الدراسة المتطورة في توضيح ما يقلقنا، فنحن نلتمس الأدوات حينما تتيسر ولكننا يجب أن نتلمس الأهداف من داخل نفوسنا.

أما الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة الأسبق وأستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم في مصر فيرى أن الأدب الاسلامي يكفيه أن يكون كذلك اذا لم يكن متصادما وعدائيا ضد الاسلام، وهو يتخلق عبر صور متعددة لا تقتصر على الابداع أو غيره بل يمكننا ادراج الكثير من المؤلفات ضمن اطار هذه التسمية مثل كتاب " حياة محمد " لمحمد حسين هيكل، وكذلك الشعر الذي كتبه العقاد. ويضيف : بالتأكيد لم تتبلور بعد نظرية خاصة بما يسمى بالأدب الاسلامي وان كانت التراجم الرسولية والتاريخية وبعض ابداعات كبار المتصوفة تؤسس لمثل هذه النظرية .

أما عن مذهبية الأدب فيقول : كان هناك أدب وجودي وأدب اشتراكي وهذه تيارات أدبية اجتاحت الساحة الثقافية العالمية في فترة من الفترات، فلماذا لا يكون هناك أدب اسلامي ، وهنا لا اعني أن يكون الأدب خطابيا ووعظيا الى الناس، بل ان الدعوة تتلخص في ما يمكن تسميته بالجوهر المرتبط بالثقافة والهوية ، وأدب الغرب نفسه لم يتخلص من الترسيخ لهويته وثقافته ، والكلام على النص الانساني كلام مغلوط، ويقصد به القضاء على النصوص والثقافات الأضعف ، مع ملاحظة أننا نتكلم على الابداع فحسب شريطة أن يكون ابداعا حقيقيا، وليس مجرد كتابة ما تعمل ما تحت شعار العقائد لتمنحها شرعية الوجود لأن شرعية وجود الابداع تأتي من وفائه لشرائط الابداع في المرتبة الأولي .

اما الدكتور عبد العزيز حمودة أستاذ الأدب الانكليزي – مع تحفظنا الكبير على ما يطرحه – فانه يرفض من حيث المبدأ مصطلح الأدب الاسلامي ويرى أن كل ما على هذا النحو يعني تراجعا كبيرا على مستوى الانجاز الفلسفي والعقلي العربي يعود بنا مئات السنين الى الخلف، لأن الابداع الانساني ــ وعبر عصور طويلة من العمل والتراكم ــ خلق قوانينه التي يعرف بها في الأرض قاطبة، والعودة الى التصنيف الأيديولوجي، ما هو الا خروج بالأدب عن مضمونه وجوهره الذي لا تمثل الأيديولوجيا

فيه شيئا من قريب أو بعيد. ويلفت حمودة الى أن أزمة النقد العربي الحديث الذي أخفق في نقل التراث العربي بداية بثورة الحداثة حتى وقتنا الراهن، وكان المصطلح ولا زال يمثل بريقا يصل بمتابعيه الى حد العمى، الذي اخفى وراءه حقائق كثيرة أبرزها المراوغة المقصودة والغموض المتعمد، وهو ما جعل المصطلح ناديا للنخبة فقط، حتى فشل المشروع في جملته على يد الغربيين انفسهم بعد أن تم تجاوزه عبر التفكيك الذي طرأ على المركزيات، ويضيف حمودة أن التحول الى لا نهائية المعنى أصبح يدمر كل شيء .

فقد استبدل التفكيكيون بالنموذج ذاتية القراءة والتمرد على نهائية النص أو اغلاقه. ثم استبدلوا بعملية النقد أدبية اللغة النقدية، وفي نهاية المطاف وصلوا الى ما وصل اليه البنيويون، ونحن بين هذا وذاك نقوم بالنقل دون النظر الى مشروعنا الخاص وكيف يمكن لنا تطويره، وأزعم أن هذا الانصياع والانبهار أمام نموذج الآخر والنقل المشوه عنه دون نظر وتمحيص هو ما يدفع الجماعات والتكتلات الأصولية الى الخوف والهلع، باعتبار أن هذه المحاولات ما هي الا مساهمة في تشويه تاريخهم وتراثهم، ولم تكن دعوات بعض النقاد العرب لخلق حداثة عربية الا مهارات ذهبت أدراج الرياح ولم يصح من هذا كله شيء حتى الآن، وبقي النقلة والمحرفون، وذهبت الحداثة.

أما الشاعر أحمد فؤاد نجم فقد أشار الى أن مصطلح الأدب الاسلامي مصطلح كبير جدا ونحن لسنا في حجمه الآن، خاصة بعد أن قامت وسائل الاتصال بفتح الدنيا من جميع جوانبها، وأصبحت فكرة الاستقلال التام أو الموت الزؤام على المستوى الثقافي فكرة مستحيلة، ويتساءل نجم : هل هناك ثقافة لم يتم تلقيحها من ثقافة أخرى ؟

الواقع يقول عكس ذلك تماما فكل الثقافات تأثرت بعضها مع بعضها الآخر ، ولم يكن الأدب في يوم من الأيام عبدا للمعتقدات، ثم ما هي المعتقدات؟ جميعا في رأيي مع الانسان ومع العدالة ومع الحق وكل أدب حقيقي ليس ضد هذه القيم، وأنا عندما عبرت في قصائدي عن أزمة مجتمعي المصري والعربي مجدت هذه القيم، رغم أنني لا أؤمن بهذا المصطلح ولم يتم تصنيفي يوما في معسكر الاسلاميين ، وعندما كتبت قصيدة عن " خالد الاسلامبولي " قاتل السادات كان شعوري أنني أمجد القيمة الانسانية التي ترفض الظلم والاضطهاد وتدعو للحرية وتستشهد من اجلها، وحكاية ربط الأدب بالدين مثل

ربطه بالسياسة لأن كليهما وجه واحد لعملة واحدة، وفي كل الحالات فان الأدب هو الخاسر، ومعركة الوليمة لم ولن تكون آخر المعارك ضد القهر والجهل في آن واحد .

*** الادب الاسلامي .... رأي واستنتاج :**

من الامور البديهية ان الادب – ومنذ القدم – ارتبط بالدين ، ولايستطيع احد ان ينكر ذلك ، اذ لايوجد ادب لا يستبطن قيماً دينية ، فكما يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : ((أن معتقد الأديب ذو تأثير واضح على نتاجه الأدبي، لأنه جزء أساسي من الإطار العام لتجربته الشعورية، وأن الأدب بطبيعته يحتاج إلى خلفية عقائدية يرتبط بها دائماً، فقد ظل الأدب في العالم أجمع مرتبطاً بالعقيدة الدينية، حتى العصر الحديث عندما لم يعد للسلطة الدينية وجهها الجماعي القديم، فراح الإنسان سيبحث عن عقيدة أخرى، ومن ثم لم تخل أعماله الفنية في أي وقت من أن يكون تعبيراً عن عقيدة)) . (٦٣)

وحسبنا ان نلتمس اثر الدين في كبار أدباء العالم لنرى ذلك جلياً بيناً ، وبخاصة عند تولستوي وبوشكين وت.س. اليوت وجوته وطاغور ومحمد اقبال واحمد شوقي .... وغيرهم كثير ، فمسألة ارتباط الدين بالادب مسألة طبيعية اذن ولاجدال فيها ، كذلك لاجدال في ان علاقة الاسلام بالادب كانت علاقة ايجابية ، والموروث الإسلامي يشهد على هذه العلاقة (٦٤) ، فالادب العربي – منذ مجيء الاسلام ومروراً بعصوره المختلفة– لم يتأثر بالاسلام في مضمونه او قيمه الانسانية فحسب – مثلما اثرت الديانات والمعتقدات الاخرى عند الشعوب في آدابهم – بل تعدى تأثير الاسلام في الادب الى ابعد من ذلك ، فشمل المنظومة الثقافية – التي يتشكل منها الادب – برمتها ، وغدا الفكر المعرفي الثقافي فكراً متأثراً وخاضعاً في صورة من صوره الى المنظومة الثقافية " الاسلامية " ، وهذا كله يؤكد ان الاسلام لم يكن ديناً طقوسياً ، بل على العكس كان ديناً شاملاً لكل مناحي الحياة ، فهو ليس كباقي الاديان عبارة عن طقوس وشعائر تؤدى في المعابد او الاماكن المقدسة ، بل هو نظام متعدد الجوانب شامل الابعاد ، كلٌ لايتجزأ ، ولذا كان تأثير الفكر الإسلامي بارزاً ، وكان له في كل جزئية من جزئيات الحياة موقف ورأي ؛ مما نتج عن ذلك تصورٌ اسلامي لقيم الوجود " الله ..

الانسان .. الحياة .. الكون " ، وقد تجلى هذا التصور بصورة خاصة في القرآن الكريم الذي عرض تصوراً شاملاً لله والكون والحياة والإنسان، في صورة كاملة تقابل كل عناصر الكينونة الانسانية ، وتلبي كل جوانبها ، وتتعامل مع كل مقوماتها ..(٦٥) ، وقد كان لهذا التصور اختلاف جذري عن سائر التصورات الاخرى سواء في ذلك التصورات المستمدة من عقائد دينية او كانت مستمدة من اساطيراوفلسفات بشرية.(٦٦)

ان هذا التصور الذي جاء به الاسلام تميز بانه يقدم للإنسان تفسيراً شاملاً للوجود، يتعامل معه على أساسه، فيحدد للمسلم دوره في الكون، وحدود اختصاصه، وعلاقته بخالقه، وفي ضوئها كذلك يتحدد منهج حياته، ونوع النظام الذي يحقق هذا المنهج .(٦٧)

وقد حدد المفكر سيد قطب – من خلال ما كتبه عن التصور الاسلامي – خصائص هذا التصور التي اجملها في " الربانية ، والثبات ، والشمول ، والتوازن ، والايجابية ، والواقعية ، والتوحيد " ، معتمدا في رصد هذه الخصائص على النص القرآني ، متوقفاً عند سمات كل خصيصة من هذه الخصائص (٦٨).

واذا كان الادب تعبيراً موحيا عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان ، فان هذه القيم تنبثق عن تصور معين للحياة والارتباطات فيها بين الانسان والكون ، وبين بعض الانسان وبعض (٦٩) ، ولما كان للاسلام تصور معين للحياة تنبثق عنه قيم خاصة لها ، فمن الطبيعي ان يكون التعبير عن هذه القيم ذا لون خاص (٧٠)، ذلك ((أن الإسلام حركة تطوير مستمرة للحياة، ومهمته تحسين الواقع والإيحاء الدائم بالحركة الخالقة المنشئة لصورة متجددة في الحياة، وحين يتم التكيف الشعوري في النفس الإنسانية بالتصوير الإسلامي، فإن هذا التكيف يبدو في كل ما يصدر عن هذه النفس، لا على وجه الإلزام والإرغام ولكن على وجه التعبير الذاتي عن هذه النفس، والفن صورة من صور التعبير عن النفس))(٧١) .

اذن نحن ازاء نظام اسلامي له تصور متفرد لقيم الوجود ، وله رؤية خاصة لكل من جزئية من جزئيات الحياة ، وله في كل ذلك ضوابط فكرية وشرعية – ان صح التعبير – ازاء كل قضية من القضايا التي تخص الانسان ومنها الادب والفن ، الامر الذي جعل بعض الدارسين ذوي التوجه الاسلامي ان يستنتجوا بوجود " ادب اسلامي " يعكس

التصور الاسلامي ورؤيته ، بل اغرى بعضَهم – هذا التصورُ – الى القول بـــ((نظريـــة الادب الاسلامي)) وانه ادب قائم على اسس مذهبية وثوابت تقر بوجود هذا الادب .

نتيجة لذلك وتأكيداً لما تقدم من مناقشتنا مفهوم الادب الاسلامي ودلالته وما طُـــرح من مسوغات لوجوده نرى انه لايوجد ما يسمى بـــ ((الادب الإسلامي)) ، وان الامر لا يخرج عن كونه رؤية اسلامية للفن والادب ، هذه الرؤية تمنح الاديب تصوراً مميزاً للكون والانسان والحياة ، وترسم له معالم التعبير عن الواقع بـــروح تتـــسق والفطـــرة الانسانية السليمة ، وتضبط ابداعه في الوقت نفسه بـــضوابط اســـلامية مـــستمدة مـــن الموروث الإسلامي وبخاصة القرآن الكريم وسيرة الرسول محمد ((صلى الله عليه وآله وسلم)) ، وهذه الضوابط ليست فقهية تحجر على الاديب وتقيد مـــشاعره واحاسيـــسه ، بقدر ما هي ضوابط فكرية تحد من النزعات المتطرفة التي تعتدي على حرمة الاسلام او انسانية الانسان ، وبالوقت نفسه تمنحه رؤية اوسع .

ولذلك رأينا بعض الذين تناولوا ظاهرة " الادب الإسلامي " يطلقون عليـــه اســـم " المعيار الإسلامي " وهو ما ذهب اليـــه الـــدكتور عمـــر الطالـــب إذ رأى ان " الادب الإسلامي " ما هو الا((رؤية ترتبط في أساسها بالإسلام، ويهدف إلى إبراز أدب يحمل قيماً إسلامية ترتبط في عمقها بالنص القرآني)).(٧٢)

ولذلك نرى ان جُل ما كتب عن الادب الإسلامي لا يخرج عـــن كونـــه تـــصورات اسلامية للادب منبثقة عن رؤية الاسلام لقيم الوجود ، وان ما أنتج من ادب في حـــدود هذا المفهوم لا يعني اكثر من كونه أدبا عاكساً لهذا التصورالاسلامي ، ولايمكـــن بايـــة حال من الاحوال تسمية ذلك الادب او ما كتب عنه ادبا اسلاميا او نظرية لهذا الادب .

هوامش البحث

(١) من قضايا الادب الاسلامي ، د. صالح آدم بيلو : ٧ .

(٢) معالم في الطريق: سيد قطب، :٥٤ .

(٣) في التاريخ فكرة ومنهاج ، سيد قطب : ١١

(٤) المصدر نفسه : ٢٨

(٥) المصدر نفسه : ٢٨

(٦) منهج الفن الاسلامي ، محمد قطب : ١٩٥

(٧) منهج الفن الاسلامي : ٢٦٥-٢٦٦

(٨) اصدار : مكتبة النور – طرابلس – ليبيا – ١٩٦٣م

(٩) اصدار : مؤسسة الرسالة – بيروت– لبنان – ١٩٧٢م

(١٠) اصدار : مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ١٩٨١م

(١١) ينظر : من قضايا الادب الاسلامي :٧-٨-٩

(١٢) ينظر : موقع رابطة الادب الاسلامي العالمية على الانترنت .

(١٣) موقع رابطة الادب الاسلامي العالمية على الانترنت .

(١٤) المصدر نفسه ، وينظر ايضاً : الادب الاسلامي : اشكالية مصطلح أم بحث عن صيغ بديلة ؟ محمود القرني ، مقال منشور على موقع : رابطة ادباء الشام على الانترنت

(١٥) ينظر : من قضايا الادب الاسلامي : ١٠

(١٦) الادب الاسلامي بين مؤيد ومعارض ، حوار مع الدكتور "جابر قميحة" عضو رابطة الأدب الإسلامي ، اجرى الحوار : اسامة عبد العليم ، موقع اسلام اون لاين على الانترنت ، صفحة ثقافة وفن .

(١٧) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(١٨) حوار مع الشاعرة عليّة الجعّار : اجرى الحوار عنتر منحيمر : مجلة الأدب الإسلامي ع :٧ ١٩٩٧، ص : ١٤.

(١٩) في الأدب الإسلامي المعاصر .. دراسة وتطبيق ، محمد حسن بريغش : ٦٤.

(٢٠) المصدر نفسه : ٣٧

(٢١) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٢٢) التزام الاديب المسلم ، د. عبد الباسط بدر ، مجلة المجتمع الكويتية ، ع : ٩٤٣ ، نوفمبر١٩٨٩م ، ص : ٥٢-٥٣ .

(٢٣) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د.عماد الدين خليل : ٧٩-٨٠ .

(٢٤) قضية الشكل في الادب الاسلامي ، د. حلمي محمد القاعود ، مجلة المجتمع الكويتية ، ع : ١٥٦٩ ، سبتمبر ٢٠٠٣م ، ص : ٥٠ .

(٢٥) الادب الاسلامي بين مؤيد ومعارض ، حوار مع الدكتور "جابر قميحة" عضو رابطة الأدب الإسلامي .

(٢٦) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي : ٢١٩ – ٢٢٠.

(٢٧) من قضايا الادب الاسلامي : ٥٥

(٢٨) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د.عبد الرحمن رأفت الباشا٩٢، نقلاً عن :

(٢٩) صورة المرأة في الرواية الإسلامية والشهود الحضاري ، محمد اقبال عروي ، مجلة المشكاة المغربية ، ع : (٧-٨-٩) ١٩٩٨، ص : ٢٢٩.

(٣٠) الملامح العامة لنظرية الادب الاسلامي : ١٤*

(٣١) الخطاب النظري للادب الاسلامي قراءة نقدية ، د. صالح محمد العبيدي موقع : رابطة ادباء الشام ، صفحة : قضايا ادبية .

(٣٢) من قضايا الادب الاسلامي : ٧٨-٧٩

(٣٣) الادب الاسلامي والخروج من المأزق :١٤ مجلة الادب الاسلامي ، ع :١١ ، يوليه ١٩٩٦ .

(٣٤) تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان،ترجمة، د.عبد الحليم النجار : ١/ ٣٦ – ٣٧ .

(٣٥) سيمياء الادب الاسلامي(٣) ، د.حسن الأمراني ، موقع رابطة أدباء الشام ، صفحة : النقد الادبي .

(٣٦) من قضايا الادب الاسلامي :٧٩

(٣٧) قراءة في ادبيات اسلامية ، د. ذنون يونس الاطرقجي : ٢ ، ضمن ابحاث مهرجان " البردة للادب الاسلامي " المنعقد في مدينة الموصل ، حزيران ٢٠٠١م .

(٣٨) النقد الادبي ... اصوله ومناهجه ، سيد قطب : ٨

(٣٩) من قضايا الادب الاسلامي : ٥٢

(٤٠) في التاريخ فكرة ومنهاج ، سيد قطب : ١٥

(٤١) من قضايا الادب الاسلامي : ٥٦

(٤٢) سيمياء الادب الاسلامي (١) المصطلح والدلالة ، د.حسن الأمراني ، موقع رابطة أدباء الشام ، صفحة : نقد ادبي .

(٤٣) مقدمة لنظرية الادب الاسلامي ، د. عبد الباسط بدر ، ضمن بحوث مؤتمر " حوار حول الادب الاسلامي ومناهج دراسته " : ٢٨ . نقلاً عن : الملامح العامة لنظرية الادب الاسلامي : ٩٩

(٤٤) كما نجد ذلك في طروحات الدكتور عبد الحميد ابراهيم اذ حاول ان تقسيم الادب الى اربعة اقسام : ١- ادب الدعوة الاسلامية " ادب الاسلام " ، وهو الادب الذي يدافع عن العقيدة الاسلامية ، ويقدمها الى الغير ، ويدعوه الى اعتناقها ٢- الادب الذي هو ضد الاسلام، وهو الذي يقف على الطرف المقابل ، يناقض ادب الدعوة ، ويتصارع معه ، ويلجأ الى الوسائل التي تؤيد موقفه وتهدم موقف الآخر ٣- الادب الاسلامي ، هو الادب المعني بالمصطلح ٤- الادب الذي هو في الاسلام ، وهو ذلك الادب الذي يعيش اصحابه في كنف الاسلام ، ولكنهم يلتزمون جانب الفن للفن ، ولا يعارض الاسلام ، ولا يدافع عن الاسلام ، لانه يعمل اساساً خارج دائرة الاسلام . ينظر : الادب الاسلامي والخروج من المأزق : ٢٤-٢٥ .

(٤٥) ينظر : الملامح العامة لنظرية الادب الاسلامي، د. الطاهر محمد علي :٧-٨ ، وينظر أيضا : ما كتبه سيد قطب في كتابه " في التاريخ فكرة ومنهاج " حول هذه المسألة .

(٤٦) ادب اسلامي : كيف ..؟ ، د. احمد مطلوب ، مجلة العربي ، ع : ٢٤٩ ، اغسطس ١٩٧٩م ، ص: ٥٦ . وينظر ايضاً : الادب الاسلامي والخروج من المأزق : ١٧-١٨.

(٤٧) الملامح العامة لنظرية الادب الاسلامي ، د. الطاهر محمد علي : ٩٩-١٠٠ .

(٤٨) الادب الاسلامي والخروج من المأزق : ١٦

(٤٩) المصدر نفسه : ١٧

(٥٠) المصدر نفسه : ١٧

(٥١) المصدر نفسه : ١٧

(٥٢) المصدر نفسه : ١٧

(٥٣) الادب الصهيوني الحديث بين الارث والواقع ، جودت السعد : ١٧

(٥٤) المصدر نفسه : ٢٠

(٥٥) المصدر نفسه : ٣٢-٣٣

(٥٦) المصدر نفسه : ٢٠

(٥٧) الادب الاسلامي والخروج من المأزق : ١٨-١٩

(٥٨) من قضايا الادب الاسلامي : ٦٥-٦٦

(٥٩) الملامح العامة لنظرية الادب الاسلامي :٤٠

(٦٠) من قضايا الادب الاسلامي : ٥٦-٥٧

(٦١) مقدمة لنظرية الادب الاسلامي ، د. عبد الباسط بدر ، ضمن بحوث مؤتمر " حوار حول الادب الاسلامي ومناهج دراسته " : ٣١ . نقلاً عن : الملامح العامة لنظرية الادب الاسلامي :٤٠

(٦٢) هذه الآراء مقتبسة عن : الادب الاسلامي : اشكالية مصطلح أم بحث عن صيغ بديلة ؟

(٦٣) الشعر في إطار العصر الثوري ، د.عزالدين إسماعيل : ١٩

(٦٤) يقول سيد قطب في تفسيره للآية الكريمة ((والشعراء يتبعهم الغاوون .....)) : ((الاسلام لايحارب الشعر والفن لذاته – كما قد يفهم من ظاهر الالفاظ . انما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن .. منهج الاهواء والانفعالات التي لاضابط لها ؛ ومنهج الاحلام المهومة التي تشغل اصحابها عن تحقيقها . فاما حين تستقر الروح على منهج الاسلام ، وتتضح بتأثراتها الاسلامية شعراً وفناً ؛ وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع ؛ واما حين يكون للروح منهج ثابت يهدف الى غاية اسلامية ، وحين تنظر الى الدنيا فتراها من زاوية الاسلام ، في ضوء الاسلام ، ثم تعبر عن هذا كله شعراً وفناً ،

فأما عند ذلك فالاسلام لا يكره الشعر ولا يحارب الفن ، كما قد يفهم من ظـــاهر الالفاظ)) . في ظلال القرآن : ٦ /٢٤٦-٢٤٧ .

(٦٥) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، سيد قطب : ٤.

(٦٦) المصدر نفسه :٢٤

(٦٧) المصدر نفسه : ٣.

(٦٨) ينظر : المصدر نفسه : ٤٥

(٦٩) في التاريخ فكرة ومنهاج : ١١

(٧٠) المصدر نفسه : ١٥

(٧١) المصدر نفسه : ١٦

(٧٢) مدخل إلى مناهج الدراسات الأدبية ، د.عمر الطالب :٢٢٩ . نقلاً عن : الخطاب النظري للادب الاسلامي قراءة نقدية ، موقع رابطة ادبـــاء الـــشام ، صـــفحة : قضايا ادبية .

مصـــــادر البحث

أولاً / الكتب :

١- الادب الصهيوني الحديث بين الارث والواقع ، جودت السعد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط : ١ ، ١٩٨١ .

٢- تاريخ الأدب العربي ،كارل بروكلمان ، ترجمة ، د. عبد الحليم النجار ، دار الكتاب الإسلامي ، قم – إيران ، ط : ٢ ، د . ت .

٣- جمالية الأدب الإسلامي: محمد إقبال عروي، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦.

٤- خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، سيد قطب ، ط : ٣ ، ١٩٦٨ ، د. م .

٥- الشعر في إطار العصر الثوري ، د.عزالدين إسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٦.

٦- في الأدب الإسلامي المعاصر – دراسة وتطبيق: محمد حسن بريغش، مكتبة المنار ، الاردن – الزرقاء ، ط : ٢ ، ١٩٨٥ .

٧- في التاريخ فكرة ومنهاج، سيد قطب، الدار السعودية للنشر، د.ت.

٨- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ،ط : ٧ ، ١٩٧١

٩- مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي: د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

١٠- معالم في الطريق ، سيد قطب ، مكتبة وهبة ، مصر ، ط : ١ ، ١٩٦٥ .

١١- الملامح العامة لنظرية الادب الاسلامي ، د. الطاهر محمد علي ، دار المعرفة الجامعية ، مصر – الاسكندرية ، ط : ١ ، ١٩٨٩ .

١٢- من قضايا الادب الاسلامي ، د.صالح احمد بيلو ، دار المنارة ، السعودية – جدة ، ط : ١، ١٩٨٥ .

١٣- منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط :٥ ، ١٩٨١.

١٤- النقد الادبي .. اصوله وسماته ، سيد قطب ، دار الفكر العربي ، ط : ٣ ، ١٩٥٩.

ثانياً / الدوريات :

١- التزام الاديب المسلم ، د. عبد الباسط بدر ، مجلة المجتمع الكويتية ، ع : ٩٤٣ ، نوفمبر ١٩٨٩ .

٢- ادب اسلامي : كيف ..؟ ، د. احمد مطلوب ، مجلة العربـــي ، ع : ٢٤٩ ، اغسطـــس ١٩٧٩م .

٣- الادب الاسلامي والخروج من المأزق ، د. عبد الحميد ابراهيم ، مجلة الادب الاسلامي ، ع :١١ ، يوليه ١٩٩٦ .

٤- حوار مع الشاعرة عليّة الجعّار : اجرى الحوار عنتر منحيمر : مجلة الأدب الإسلامي ع :٧ ، ١٩٩٧.

٥- صورة المرأة في الرواية الإسلامية والشهود الحضاري ، محمد اقبال عروي ، مجلة المشكاة المغربية ، ع : (٧-٨-٩) ١٩٩٨ .

٦- قضية الشكل في الادب الاسلامي، د. حلمي محمد القاعود، مجلة المجتمع الكويتية ، ع : ١٥٦٩ ، سبتمبر ٢٠٠٣ .

ثالثاً / شبكة المعلومات الدولية " الانترنت " :

١- الادب الاسلامي : اشكالية مصطلح أم بحث عن صيغ بديلة ؟ محمود القرني ، موقع : رابطة ادباء الشام http:// www. Odabasham.net صفحة : النقد الأدبي .

٢- الادب الاسلامي بين مؤيد ومعارض ، حوار مع الدكتور "جابر قميحة" عضو رابطة الأدب الإسلامي ، اجرى الحوار : اسامة عبد العليم ، موقع : اسلام اون لاين http://www. islamonline.net صفحة ثقافة وفن .

٣- الخطاب النظري للادب الاسلامي قراءة نقدية ، د. صالح محمد العبيدي ، موقع : رابطة ادباء الشام http://www. Odabasham.net صفحة : قضايا ادبية .

٤- سيمياء الادب الاسلامي ج : ٣ ، د.حسن الأمراني ، موقع : رابطة أدباء الشام http://www. Odabasham . net صفحة : النقد الادبي .

٥- اضافةالى الاعتمادعلى موقع:رابطةالادب الاسلامي العالمية .www http://adabislami.org ، في الاستفادة من تاريخ ونشأة الرابطة .

رابعاً / مصادر اخرى :

* قراءة في ادبيات اسلامية ، د. ذنون يونس الاطرقجي ، ضمن ابحاث ملتقى " البردة " للادب الاسلامي المنعقد في مدينة الموصل ، حزيران ٢٠٠١م .